سلسلة الموسوعة التراثية للشباب ١٠

فتاوى ابن تيمية
كاتب وكتاب

بقلم

محمد رجب

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

فتاوى ابن تيمية كاتب وكتاب - الرياض

٣١ص، ١٧×٢٢سم - (الموسوعة التراثية للشباب)

ردمك: ٤-٩٨١-٢٠-٩٩٦٠

١- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨هـ ٢- الفتاوى الشرعية

أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٩٢٢,١١٧ ٢٢/١٥٣٤

رقم الإيداع: ٢٢/١٥٣٤ ردمك: ٤-٩٨١-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طرق الملك فهد مع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

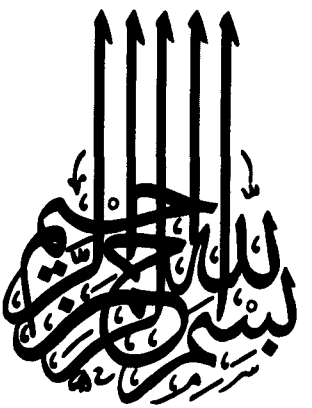
بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه:

هو: أبوالعباس تقي الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبدالحليم ابن الشيخ مجدالدين أبي البركات عبدالسلام بن أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن علي بن عبدالله الحراني.

مولده:

ولد الشيخ ابن تيمية في العاشر من ربيع الأول سنة ستين وست مئة من الهجرة النبوية (٦٦٠هـ - ١٢٦٣م)، وكان مولده بحران[١].

نشأته:

عاش ابن تيمية في حران حتى السابعة من عمره حيث قدم مع أبيه وأمه وإخوته إلى دمشق عام ٦٦٧هـ، وذلك عند قدوم التتار إلى الشام، وتعد دمشق في ذلك العصر إحدى مراكز العلوم الإسلامية الكبرى.

وكان جده وأبوه من العلماء الكبار في ذلك العصر، وبهذا فقد نشأ ابن تيمية نشأة صالحة وتربى في بيت علمي على حب العلم والمعرفة. فأبوه الشيخ شهاب الدين عبدالحليم كان إماماً محققاً في كل فنون العلم، وديِّناً متواضعاً حسنَ الأخلاق، كما كان كريماً محسناً، وكان من علماء الحنابلة

(١) حران: تقع شمالي شرق حلب وهي الآن تقع ضمن الأراضي التركية في أورفه.

البارزين، تولى بدمشق إدارة دار الحديث السكرية، وكان يلقي الدروس في المساجد أيام الجُمَع.

وجده مجدالدين أبوالبركات عبدالسلام بن تيمية الفقيه الحنبلي، الإمام المقرئ المفسر المحدث الأصولي النحوي وأحد الحفّاظ الأعلام.

التحق ابن تيمية بأحد الكتاتيب فتعلّم القراءة والكتابة، ثم بدأ بحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم أخذ ينهل من منابع العلم المختلفة، فدرس الحساب والفقه واللغة العربية، وبرع في النحو. وبدأ الفتوى وهو ابن تسع عشرة سنة، ومات والده وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وذاع صيته فعمَّ الآفاق، وأخذ بتفسير القرآن في المسجد في كل يوم جمعة، لا يتوقف ولا يتلعثم، وكان إذا سئل عن فنٍّ من فنون العلم ظن السائل أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وكان الفقهاء إذا جلسوا معه استفادوا منه، وكان حسنَ التصنيف وجيد العبارة، وبارعاً في الترتيب والتقسيم.

عبادته وورعه:

نشأ ابن تيمية في تعبد وتقوى وورع لا مثيل له، فقد قال تلميذه عمر ابن علي البزّار في وصف تعبده: «أما تعبده -رحمه الله- فإنه قليل ما نسمع بمثله؛ لأنه كان يمضي أكثر وقته في العبادة، وكان في ليله متفرداً عن

الناس كلهم، خالياً بربه عز وجل، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، قائماً بكل العبادات الليلية والنهارية، كان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة».

وكان ابن تيمية يمضي وقته إما في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، وإما في إلقاء الدرس وإفتاء الناس أو في قضاء حوائجهم، أو زيارة المرضى، أو غير ذلك من أعمال الخير، كما كان -رحمه الله- صوّاماً، يكثر من صوم النَّفْل وقيام الليل والتهجد.

زهده:

كان ابن تيمية -رحمه الله- في غاية الزهد، فلم يكن يخالط الناس في بيع ولا شراء، ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولا عمارة، ولم يكن له صلة بسلطان ولا أمير ولا تاجر، وما كان يدخر ديناراً ولا درهماً ولا متاع، وإنما كانت بضاعته مدة حياته، وميراثه بعد وفاته: العلم، اقتداءً بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ الذي قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**».

وقد عاش ابن تيمية عزباً، انصرافاً منه إلى العلم، وتفانياً في خدمة الدين. حتى صار العلم عنده بمنزلة الروح من الجسد، لا يستطيع له فراقاً، ولا يطيق عنه بعداً، فخشي ابن تيمية أن يكون زواجه صارفاً لطلب العلم، بعد أن وجد في العلم لذة ما تساويها لذة.

قال عنه الإمام الذهبي: «كان إماماً متبحراً في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك... فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والزواج، لا لذة له إلا في نشر العلم وتدوينه».

شيوخ ابن تيمية:

كان ابن تيمية متميزاً بين أقرانه بنباهته وشدة ذكائه ومتانة حفظه، إذ كان أبوه عالماً في علوم الشريعة، وخاصة علم الحديث والتفسير؛ لذلك فقد أخذ ابن تيمية علم الحديث والتفسير من أصوله.

وقال الشيخ ابن عبدالهادي وكان ملازماً للشيخ ابن تيمية: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ».

وإن هذه الكثرة من المشايخ الذين أخذ عنهم العلم يعود الفضل في ذلك لوالده.

وممن ذكرهم ابن عبدالهادي من شيوخ ابن تيمية:

١- ابن الصيرفي المفتي المعمر جمال الدين أبوزكريا يحيى بن أبي منصور بن الفتح بن رافع الحرّاني الحنبلي.

٢- أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيباني.

٣-إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبدالله التنوخي.

٤- محمد بن إسماعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن الحسين الدمشقي.

٥- شمس الدين محمد بن عبدالقوي بن بدران بن سعدالله المقدسي.

٦- أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي.

٧- زين الدين أحمد بن عبدالدائم المقدسي.

وغيرهم كثير ولكنا نكتفي بذكر هؤلاء.

وهناك بعض النساء الصالحات ذوات العلم والفقه، أخذ عنهن الشيخ ابن تيمية -رحمه الله- وهن:

- الشيخة الجليلة فاطمة بنت أبي القاسم علي بن عساكر.
- الشيخة الصالحة أم الخير بنت حي بن قايماز الدمشقية الكندية.
- الشيخة الصالحة زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني.
- الشيخة الصالحة زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية.

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

بلغ ابن تيمية الحادية والعشرين من عمره حين توفي والده الشيخ عبدالحليم سنة ٦٨٢هـ، وبقي حينها فراغ في إدارة دار الحديث السكرية التي كان يديرها في حياته، لكن لم يدم هذا الفراغ وقتاً طويلاً، فقد خلَفَه ابنه أحمد، نابغة زمانه، وكان ذلك في محرم ٦٨٣هـ وسدَّ ذلك الفراغ.

وألقى درسه الأول في دار الحديث السكرية بحضور كبار علماء دمشق وفُضلائها، منهم: كبير القضاة بهاء الدين الزكي الشافعي، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية وغيرهما من كبار المشايخ والعلماء حضروا الدرس الأول وأعجبوا به أيما إعجاب، حيث ترك في نفوسهم أثراً عميقاً يدل على عمق فهم ابن تيمية وحدة ذكائه وفصاحة لسانه وسرعة بديهته.

ويتحدث تلميذه ابن كثير عن درسه هذا فيقول:

«وكان درساً هائلاً، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنه الحاضرون».

وجلس الشيخ ابن تيمية بعد صلاة الجمعة بالجامع الأموي بدمشق ليُلقي دروساً في التفسير، فبدأ في تفسيره من أوله، وكان يجتمع عنده خلقٌ كثيرٌ من كثرة ما كان يعطي من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة

والزهادة والعبادة، وقد سار ذِكره بين الناس في سائر الأقاليم والأماكن، واستمر على هذا العطاء سنين طويلة.

وقال عنه تلميذه الذهبي: «شيخنا شيخ الإسلام فريد عصره علماً وشجاعة، وذكاء وكرماً ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. سمع الحديث وسعى في طلبه، وحصل على ما لم يحصله غيره، وبرع في الحديث وحفظه».

وقد قال عنه الحافظ المزي: ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أتبع لهما منه.

وقال القاضي الحريري: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو شيخ الإسلام؟!

وقال الشيخ عماد الدين الواسطي: «فوالله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً، وحالاً وخلقاً، واتباعاً وكرماً وحلماً، وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته، أصدق الناس وعداً، وأصحهم علماً وحزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق، وأسخاهم يداً، وأكملهم اتباعاً لنبيّه محمد ﷺ».

وقال الشيخ ابن دقيق العيد وقد سئل فيه بعد اجتماعه به فقال: رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء ويترك ما يشاء.

وقال ابن رجب: كانت العلماء والصلحاء، والجند، والأمراء، والتجار، وسائر العامة تحبُّه؛ لأنه قائم لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وقال الذهبي: كان ابن تيمية آية في الذكاء، وسرعة الإدراك، وعلَماً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، هو في زمانه فريد عصره عِلماً وزهداً وشجاعة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكثرة تأليف وتصنيف.

عصر ابن تيمية:

ولد ابن تيمية في عصر كثرت فيه الحروب على الدولة الإسلامية، فقد أدرك ابن تيمية الحروب الصليبية قبل انتهائها بنحو ٢٩ سنة، فرأى آثارها المدمرة وما تركته من فساد في نفوس الناس. إلا أن هجوم التتار قد أثار ابن تيمية أكثر من الحروب الصليبية؛ لأن غزو التتار وقع في عصره تماماً، فجاهد فيه الإمام بلسانه المبين وسيفه الصارم وإيمانه الراسخ.

ورأى ابن تيمية ببصيرته النافذة وإيمانه الوثيق بربه أن يقوم بدور القائد الحكيم ليدفع عن البلاد خطر هذا البلاء النازل، فجمع أعيان البلد وألف منهم وفداً قابل ملك التتار (قازان) لمفاوضته ألا يدخل التتار دمشق.

أعطى (قازان) الأمان للشيخ ابن تيمية وأهل دمشق، ولكنه دخلها بعد حين، وقد تصدى له جند الشام ومصر وكان على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، يحمسهم ويعظهم ويجاهد بنفسه ولسانه وماله.

محاربته للبدع والمبتدعة وأهل المعاصي:

رأى ابن تيمية -رحمه الله- أن المفاسد قد عمّت بعد دخول الصليبيين البلاد الإسلامية، وتبعهم التتار، فانتشرت الخمور بين الناس، كما انتشرت الرذيلة، فقام هو وأصحابه بدعوة الناس إلى العودة إلى جادة الحق والصواب، وحاولوا تغيير المنكر بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم، فاستجاب لهم كثير من المسلمين وعادوا إلى رشدهم.

كما حارب ابن تيمية كثيراً من الفرق الإسلامية الضالة وناقشهم وناظرهم وخصوصاً الباطنية منهم.

موقفه من الصوفية:

يقول ابن تيمية: «تنازع الناس في طريقهم (الصوفية)، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكلمهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم.

والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو

من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم، كالحلاج مثلاً؛ فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه، وأخرجوه عن الطريق، مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبوعبدالرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) وذكره الحافظ أبوبكر الخطيب في (تاريخ بغداد)»[1].

محن الشيخ:

تعرض الشيخ لكثير من المحن والابتلاءات في حياته، وما ذلك إلا بسبب تمسكه بالعقيدة الصحيحة، وخروجه في بعض فتاواه عن فتاوى الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، كما أن بعض العصاة وأهل الضلال حاولوا إيذاءه وشكايته إلى السلطان مما أدى إلى سجنه وإطلاقه عدة مرات إلى أن كانت وفاته -رحمه الله- في سجن القلعة في دمشق.

(١) مجموعة الفتاوى، ج٦، ص١٣-١٤، مكتبة العبيكان.

وفاته -رحمه الله-:

توفي -رحمه الله- ليلة الإثنين لعشرين خلون من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة من الهجرة النبوية الشريفة، وكان قبل ذلك قد مرض بضعة وعشرين يوماً.

وقد فوجئ الناس بنعيه فاشتد أسفهم عليه وكثر البكاء والحزن، وصُلي عليه بالقلعة أولاً ثم بجامع دمشق (الأموي) عقب صلاة الظهر، كما صُلِّي عليه في جميع الأمصار الإسلامية وخصوصاً مصر والعراق.

وقبره موجود اليوم في ساحة جنوب جامعة دمشق إلى جوار قبرين آخرين مكتوب عليه: «شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ٧٢٨هـ».

مؤلفات الإمام ابن تيمية:

كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قوة فكرية خصبة، أدهش الناس بمواهبه، وقد تناول ابن تيمية علوم عصره بالدرس العميق، ثم بالتأليف والرد على مخالفيه، وبخاصة علماء الكلام والمنطق والتصوف والفلسفة، برسائل قصيرة أحياناً، ومطوّلة أحياناً أخرى، فترك عدداً كبيراً من المؤلفات. ويقول من تكلم عن ابن تيمية: إن كتبه تصل إلى خمس مئة كتاب.

وقد كتب الشيخ في عدة أبواب من العلم، فكتب في التفسير والعقيدة والفقه والأصول والتصوف.

١- في التفسير:

كتب شيخ الإسلام في التفسير رسائل كثيرة بالغة الأهمية، فكتب رسالة في منهاج التفسير وكيف يكون، وتعد هذه الرسالة مرجعاً أساسياً لدارسي منهاج ابن تيمية في التفسير.

وقال تلاميذه: إنه جمع قدراً كبيراً في تفسير القرآن الكريم مما يقع في أكثر من ثلاثين مجلداً، وقد كتبوا بعضه، والكثير منه لم يكتب.

ومن التفاسير التي وصلت إلينا: تفسير سورة الإخلاص، وتفسير المعوذتين، وتفسير سورة النور، وتفسير آيات من سورة يوسف، وغيرها.

كما ألّف عن القرآن كتباً مثل: التبيان في نزول القرآن، فضائل القرآن، أقسام القرآن، أمثال القرآن، وغير ذلك كثير.

٢- في العقيدة:

كتب ابن تيمية في العقيدة كثيراً، ولا يمكن أن تحصى مؤلفاته، فقد أمضى شيخ الإسلام حياته كلها وهو يكتب في العقيدة، يدافع عن مذهبه ويرد على خصومه. ومن أهم كتبه في العقيدة:

كتاب الإيمان، كتاب الاستقامة، اقتضاء الصراط المستقيم، كتاب الفرقان، شرح الأصبهانية، القضاء والقدر، بيان الهدى من الضلال، معتقدات أهل الضلال، معارج الوصول، السؤال عن العرش، بيان الفرقة الناجية.

وهناك بعض الرسائل كتبها في العقيدة المعروفة بـ (الحموية، التدمرية، الواسطية، الكيلانية، البغدادية، البعلبكية، الأزهرية، ورسالة مراتب الإرادة) وغير ذلك من الكتب والرسائل.

٣- في الفقه:

أنتج شيخ الإسلام في الفقه إنتاجاً عظيماً، فعلمه الوافي بالقرآن الكريم وبأحاديث رسول الله ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين جعل إنتاجه يكون بهذا العمق والدقة وهذا الكم الهائل.

وأهم هذه المؤلفات: فتاوى ابن تيمية التي كانت متناثرة في الشام وبعضها في مصر، ولكنها جُمعت الآن في مجلدات ضخمة.

وكتب عدة قواعد مما اختلف فيها العلماء مثل: قواعد في الوقف والوصايا – قاعدة في الاجتهاد والتقليد – قاعدة تفضيل مذهب أهل المدينة – قاعدة شمول النصوص – قاعدة في لعب الشطرنج – قاعدة في الضمان – قاعدة في الجهاد والترغيب فيه، وغير ذلك من القواعد.

وله عدة رسائل فقهية مثل:

رسالة القياس – رسالة الحسبة – رسالة وضع الحوائج – كتاب العقود – كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل، وغير ذلك.

تلاميذ شيخ الإسلام:

أشهر تلاميذ شيخ الإسلام:

١- **ابن قيِّم الجوزية**: هو أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب. ولد في دمشق عام ٦٩١هـ، وعاش فيها حتى توفي عام ٧٥١هـ، وكان والده قيِّمَ (مدير) المدرسة الجوزية فقيل له: ابن قيِّم الجوزية نسبة إلى مهنة والده، وهو التلميذ النجيب لابن تيمية، وسجن مع ابن تيمية في قلعة دمشق، ولكن فُرِّق بينهما.

٢- **ابن عبدالهادي**: هو شمس الدين محمد الملقب بالعماد، وعُرف بـ(ابن عبدالهادي) وكان متبحراً في العلم إلا أن حياته كانت قصيرة، فقد عاش أقل من أربعين سنة، وقال الصفدي عنه: «لو عاش ابن عبدالهادي لكان آية». ولد في دمشق عام ٧٠٤هـ. وتوفي في ١٠ جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ، رحمه الله رحمة واسعة.

٣- ابن كثير: هو أبوالفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، وعُرِف بـ (ابن كثير). ولد في ٧٠١هـ في نواحي بصرى الشام. كان شديدَ الإعجاب بشيخه ابن تيمية.

توفي في دمشق ٧٧٤هـ ودفن فيها، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

٤- الذهبي: هو شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن عبدالله الذهبي، ولد عام ٦٧٣هـ، وسكن مدينة ميافارقين من أشهر مدن دياربكر.

وقد تأثر الذهبي بابن تيمية تأثراً كبيراً، وقال: «فلو حُلِّفتُ بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله».

وتوفي الذهبي في ٣ من ذي القعدة ٧٤٨هـ.

٥- ابن مفلح: هو أبوعبدالله شمس الدين محمد بن مفلح بن مفرج الراميني ثم الصالحي الحنبلي ولد سنة ٧٠٧هـ.

لازم الشيخ ابن تيمية، وقال ابن قيم الجوزية: ما تحت أديم السماء أعلم بالفقه من ابن مفلح.

وكان شيخ الإسلام يقول له: ما أنت ابن مفلح، بل أنت المفلح. وله عدة مؤلفات. توفي في رجب سنة ٧٦٢هـ، ودفن بدمشق.

ولشيخ الإسلام تلاميذ كثر وقد اكتفينا بذكر أشهرهم.

نبذة عن مجمو الفتاوى

كانت الأمة الإسلامية -إبان عهودها الأولى- في أوج عظمتها، قوة وعلماً وما ذاك إلا بفضل تمسكها بكتابها الكريم وسنة نبيّها العظيم، وفقه صحابتها الأجلاء. ظلت هكذا قروناً عديدة، فحمت العقيدة، ونشرت العلم النافع فيما يحتاجه الناس في أمر دينهم ودنياهم.

غير أنه -ولأسباب عديدة- أخذت عوامل الضعف تنخر في جسدها، حتى أصبحت مطمعاً لأعدائها المتربصين، فأخذت تتعرض لهجمات من هنا وهناك، وتكالب الأعداء عليها من كل صوب وحدب.

ولقد كان ابن تيمية -رحمه الله- نموذجاً للداعية الحصيف الذي يفقه مقتضيات عصره وعلومه، فقد جمع بين غزارة العلم، وعمق الفهم، والإحاطة بعلوم الشريعة والعلوم الفلسفية والكلامية التي عرفت في عصره وقبل عصره، مما جعل أهل العلم يطبقون على الثناء عليه، والإذعان لإمامته في العلوم والفنون، وبأنه فريد عصره، ووحيد دهره، علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء وكرماً، ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر.

وكان من ناتج هذا الجهاد الطويل أن كتب الإمام وأملى آلاف الأوراق، حتى بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلد ما بين جواب عن سؤال، أو مؤلَّف

لموضوع وجد الناس في حاجة إليه، كبيان لما يجب على الأمة فهمه وتعلمه من أمر دينها في العقيدة والعبادات، أو ذكر أحوال الفرق الضالة والمبتدعة وتحذير الأمة منها.

ولأن الله -عز وجل- يريد الخير لهذه الأمة، فقد قيض لها من العلماء الأفاضل من أزاح التراب عن هذا التراث، وأظهر درره للنور، فاهتم علماء المسلمين بمؤلفات الإمام، وبدأت تظهر للنور كمؤلفات مستقلة في موضوعات مختلفة، في العقيدة، والتفسير، والفقه، وغيرها.

وقد ظهرت أول مجموعة من فتاوى الإمام على يد الشيخ فرج الله الكردي الأزهري بمصر عام ١٣٢٦هـ في ستة مجلدات، وتبع ذلك بعد سنوات صدور مجموعة أخرى باسم «الفتاوى المصرية»، وزامن ذلك وتلاه ظهور أعمال متفرقة في مواضيع متنوعة، ظهرت في شكل مجلد أو أكثر هنا وهناك.

ثم جاء بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد رشاد سالم، فشرع في القيام على مشروع لإخراج رسائل ابن تيمية كاملة، فبدأ في جمع المخطوطات ونسخها وتبويبها، إلا أنه -وفي أثناء عمله في الجزء الأول من كتاب منهاج السنة- علم أن الشيخ عبدالرحمن بن القاسم وولده محمد في السعودية قد باشرا أيضاً بجمع مخطوطات ومطبوعات كتب شيخ الإسلام ليستخرجا

منها درر الفتاوى، وبتوفيق الله لهما وبعونه خرج كتاب ضخم تحت اسم (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) وذلك في خمسة وثلاثين مجلداً، بحث في أغلب العلوم الشرعية والمنطق.

فهناك أبواب في علوم القرآن وتفسيره، وفي الحديث ومصطلحاته، وفي العقيدة والتوحيد، وفي الفقه وأصوله، وفي التصوف والسلوك والاجتماع، وفي المنطق والفلسفة.

منهج ابن تيمية في التفسير

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن أصح الطرق في تفسير القرآن العظيم أن يُفسَّرَ القرآن بالقرآن».

فإذا وردت آية غامضة في مكان فسَّرتها آية أخرى واضحة تمام الوضوح، وإذا ما اختُصِرتْ آيات في مكان فقد توسعت في مكان آخر، فالقرآن يُفسِّر بعضه بعضاً.

فإن لم نجد تفسيراً لذلك - أي تفسيراً للقرآن بالقرآن نفسه - فعلينا بالسنة -أي أحاديث رسول الله ﷺ- فإنها شارحة للقرآن، وموضحة لغوامضه، وقد قال لإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ**

بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [النحل: ٦٤]. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»، ومثله معه أي السنة النبوية.

واستدل ابن تيمية على طريقته هذه في التفسير وهي أن يفسر القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فيفسر القرآن بالسنة بقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: اجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «**الحمد لله، الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله**».

ويتابع ابن تيمية القول إنه إذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة فنرجع في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من نزول القرآن، ولأنهم سمعوا من رسول الله ﷺ، ولا سيما كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وابن مسعود وكذلك ابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عه: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

ومن الصحابة أيضاً الذين اشتهروا بالتفسير عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، كان تُرجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ترجمان القرآن ابن عباس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين(١)، كمجاهد، وقتادة.

قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

وجاء مجاهد إلى ابن عباس يسأله في التفسير، فقال له ابن عباس: اكتب. قال مجاهد: حتى سألته عن التفسير كله، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وقال قتادة: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت منها شيئاً.

(١) التابعون: هم الذين عاصروا الصحابة وسمعوا منهم بعد وفاة النبيّ ﷺ.

إلا أن ابن تيمية -رحمه الله- يعتبر أن أقوال التابعين ليست كحديث رسول الله ﷺ ولا كأقوال الصحابة الكرام في التفسير، بل هي دون ذلك.

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الفقه:

وأما جانب الفقه في مجموعة الفتاوى فكان نصف الكتاب تقريباً، فكتب ابن تيمية في معظم أبواب الفقه، باب الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والبيوع والنكاح والطلاق والوقف إلخ من الأبواب الفقهية.

وكان لابن تيمية منهج يسير عليه في كيفية الاستدلال واستخراج الحكم من الأدلة وإننا لو نظرنا في هذا المنهج لرأينا مدى عمق الإمام في الاجتهاد في النصوص.

ولمنهجه في الفقه ميزات أهمها:

١- الإخلاص: دعا ابن تيمية إلى العناية بهذا المبدأ نظراً لقيمته وأهميته، إذ به تقبل الأعمال وترد، وبه يحاسب العبد على عمله. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ١١] فجاهد ابن تيمية بلسانه وقلمه وبنفسه لتحقيق دعوة الله في أرضه، وتلك النتائج الباهرة والانتصارات الساحقة على أعداء الله هي ثمرة جهاده ومناظراته المكللة بتوفيق الله ثم بإخلاص النية له.

قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**». فهذا الحديث يبين العمل الباطن وأن التقرب إلى الله إنما يكون في لدين لله كما قال الفُضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢]، قال الفضيل: أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه، قال: فإن العمل إن كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة، وهذا مدلول قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠]، فالعمل الصالح هو ما كان استجابة لأمر الله ورسوله وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً، هو إخلاص العبادة لله.

وهذا هو جهد ابن تيمية في دعوته، إبعاد الناس عن الشرك بالله، وأن يكون عملهم موافقاً لما جاء به رسول الله ﷺ وعلى نهج السلف الصالح، وهذا ما تجده مبثوثاً بشكل واضح في كتبه كلها.

٢- السلفية: كان اهتمام ابن تيمية الكبير أن يعود بالأمة الإسلامية إلى منابعها الصافية والنهج السليم، عهد السلف الصالح، الذين حملوا الدعوة بصدق وإخلاص ومتابعة نبيهم في السرّاء والضراء، وقد تبنى ابن تيمية هذا الاتجاه لإخراج الناس من دائرة العصبية المذهبية، والتمسك بمذهب معين لا يحيدون عنه ولو كان خلاف الصحيح.

وحديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، يكاد ابن تيمية يذكره كلما ذكر السلف، ولهذا يرد الحديث في مواضع كثيرة، وشيخ الإسلام يعتبر أن الأفضلية في الاتباع يكون لتلك القرون في السلوك والعلم والعمل، والقرون الثلاثة هي عصر الصحابة وعصر التابعين وعصر تابعي التابعين.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد ﷺ كما وصاهم في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

وقال -رحمه الله-: فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وأولئك (أي الصحابة) خير أمة محمد ﷺ.

وقال -رحمه الله-: لكن كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة، وكانت الشريعة أعز وأظهر، وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم.

٣- التيسير ومراعاة المصالح: اهتم ابن تيمية بجانب التيسير في فتاواه حتى إنه كثير الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح: ٥، ٦].

والتزم شيخ الإسلام سنة رسول الله ﷺ: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً**». فهو يلتزم جانب الشدة إذا كان التيسير يؤول إلى فساد أو بدعة.

والدافع لابن تيمية في التزامه مبدأ التيسير هو ما فهمه من دعوة الرسول ﷺ حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»، ولذا يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: من استقرأ الشريعة في مواردها ومصادرها وجدها مبنية على قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: ١٧٣].

٤- **الشمول**: قال -رحمه الله-: المقصود هنا أن النصوص شاملة لجميع الأحكام، فنصوص كتاب الله كذلك، وسنة رسول الله ﷺ تشمل جميع الأحكام.

وميزة الشمول هذه قصد بها ابن تيمية أيضاً أن الشريعة سليمة من التناقض وأنها متناسبة، وسبب التناقض هو قصر فهمنا أو خطؤه.

يقول -رحمه الله-: والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعي التناقض في معاني الشريعة أو ألفاظها ويزعم أن الشارع يفرق بين المتماثلين، بل نبينا محمد ﷺ بعث بالهدى ودين الحق، بالحكم بالعدل والرحمة.

٥- الواقعية: وهي الفتوى بما يتناسب مع الواقع وضروراته دون الخروج عن الشرع، فالشريعة جاءت متلائمة مع كل زمان ومكان.

وكان ابن تيمية قريباً من واقع الناس، فهو يتحدث عن فئات الناس وكأنه يعيش معهم دائماً في حياتهم اليومية، وهذا يدل على حرصه وعنايته بشؤون المسلمين؛ لذلك تقع توجيهاته وفتاواه في موقعها المناسب لها شرعاً، وكان لا يتحدث في أمور وقضايا لا فائدة منها، ولا تفيد عامة المسلمين، وكان أشد ما يكون متابعة أمرُه بالمعروف ونهيه عن المنكر، والذي قام على أساس الدعوة لكل ما من شأنه صلاح الأمة، ومنعها عن كل ما من شأنه هلاكها وفسادها، فهي دعوة علاج واقعي وقطع عملي لكل فاسد.

قال البزار -رحمه الله- فقلَّ أن يراه أحد ممن له بصيرة إلا وانكب على يديه يقبلها، حتى إنه كان إذا رآه أرباب المعايش يتخبطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به وهو مع هذا يعطي كلاً منهم نصيباً وافراً من السلام وغيره، وإذا رأى منكراً في طريقه أزاله، أو سمع بجنازة سارع إلى الصلاة عليها، أو تأسف على فواتها، وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلى عليه ثم يعود إلى مسجده، فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه.

وكان مجلسه عاماً للكبير والصغير والجليل والحقير والحر والعبد والذكر والأنثى، قد وسع على كل من يرد عليه من الناس، يرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحداً بقدره.

وقال الذهبي -رحمه الله-: وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

ثبت النبيّ ﷺ على الحق في دعوته رغم ما لاقاه من قومه من الإهانة والتضييق عليه، ونصره الله بعد ذلك وقامت دعوته.

وثبت صديق هذه الأمة -رضي الله عنه- عند امتناع بعض المسلمين عن دفع الزكاة ونصرة الله وعاد الاستقرار للمسلمين.

وثبت الفاروق - رضي الله عنه- بشجاعته وعدله حتى أرجف حصون كسرى وقيصر، وكان في ذلك هيبة الإسلام وعزته.

ومن التزام ابن تيمية -رحمه الله- بسيرة سلف هذه الأمة أدرك أهمية الثبات في قيام الدعوة وتحقيق الشريعة، ومن هذا المبدأ تحقق لابن تيمية انتصاره في مجال عقيدته وفقهه وجهاده.

فلقد نصره الله سبحانه وتعالى في مناظراته ومعاركه التي خاضها مع أعداء العقيدة من فلاسفة وباطنية وملاحدة، وثبت مع الحق على الرغم مما لقيه من إهانة وتشريد وسجن، وكان لذلك الأثر الكبير في قيام عقيدة السلف وانتشارها في عصره وبعد عصره، فتحقق له التوفيق في قبولها من الأمة والاعتناء بها، ولا تزال العناية بها قائمة حتى عصرنا الحاضر.

العبيكان
Obeikan
Printing & Packaging
Tel: (01) 265 1144